

- ١- يتعجب الشاعر من اتهام الناس له بالعزلة والبعد عن الناس وعدم الانخراط فيما بينهم ، مع أن ابتعاده لم يكن إلا عما يورث نفسه الذل .
- ٢- اتخذت هذا الموقف لأنني رأيت أن كل من رضي بكل ما عليه الناس فدخل معهم ووافقهم على كثير مما هم عليه تهون نفسه عندهم ، ومن كان عنده عزة نفس تبعده عن مواطن الشبهة أكرمه الناس .
- ٣- والذي يدفع كثير من العلماء إلى مجاراة الناس هو المطامع المادية ، وهي لا تنتهي ولا تستطيع قضاء حق العلم إذا كنت كلما لاح مطمع من هذه المطامع جعلته سلباً لنفسي .
- ٤- لذلك ، تجاهلت هذه المطامع المذتة التي تتنافى مع شرف العلم ، فإذا أشار لي مشير إلى أحد هذه الموارد قلت له : إنني أرى ما ترى ، ولكن يمنعني من الورود نفس حرة تصبر على العطش وتحمله .
- ٥- إن كثيراً من هذه المطامع تؤدي إلى خدمة من لا يستحق الخدمة ، وإلى مداراة أصحاب الدنيا وتسخير العلم لمصالحهم ، مع أنني لم أتعلم إلا من أجل إكرام نفسي لا إهانتها بذلك .
- ٦- هل أشقي نفسي في طلب العلم ، لأجني لنفسي الذل ؟ مادام الأمر كذلك فالبقاء على الجهل كان أفضل من العلم الذي يكون سبباً في هوان صاحبه .
- ٧- لو أن العلماء حفظوا علمهم ، وترفعوا به عما لا يليق لحفظهم ، وكان ذلك سبباً في صيانتهم ومعرفة الناس حقهم ، ولو نظروا إلى العلم نظرة إعظام وإكبار لكان عظيمًا وكبيراً في أعين الناس
- ٨- ولكن الواقع أن كثيراً من العلماء أهان العلم بتصرفاته ، فهان العلم في نظر الناس وحسبوا أن العلماء كلهم على هذه الشاكلة ، وأصبح العلم وبالاً على العلماء ومصدر شقاء لهم ، حتى ليكاد كثير منهم أن يتمنى لو لم يتعلم .

( انقباض : انزواء ، وابتعاد عن الناس ، أحجم : توقف ولم يتورط ..

(٢) داناهم : اقترب منهم وخالطهم دون تحفظ ..

(٣) صيرته : جعلته .

(٤) محياه : وجهه ، تجهم : أصبح مشوهاً عبوساً غير جميل

الشرح:

يلوم بعض الناس الشاعر ويقولون نري فيك ضعفا ووهنا ولكنه يردعليهم

قائلا بأن ابتعاد الأعمى يورث الذل

البيت الثاني:

يرى الشاعر أن من تقرب للناس هان عندهم واحتقروه ومن حافظ على عزة

نفسه أكرمه الناس

البيت الثالث:

الشاعر منحاز لعرضه من أن يناله ذل وقد أعد لذلك صيانه من الذل ويرى في ذلك كأنما

البيت الرابع:

إذا قال له البعض هذا مورد عذب للشرب فاسلكه ، يرد عليهم ويقول بأن نفس الحر تحتمل العطش ولا تقبل إلا هانة

البيت الخامس:

ينزه الشاعر نفسه ورفعها عن كل ما يهينها ويحقرها، حتى لا يقول أعدائه فيك وقع ولماذا حدث له كذا

البيت السادس:

فيحفظ نفسه عن ان يعيبه اللئيم وتراه في نفس الوقت صار عظيما في نفوس الكرامة

البيت السابع:

يكرم الشاعر نفسه من ان يضاحك عابسا شاحبا أو ان يلقي المديح ممن هو مذموم

البيت الثامن:

يقول الشاعر هنالك الكثير من الأمور تعد من النعم ولكنها على الحر تعد من النقم وكذلك الكثير من المعاني يعتبرها الحر خسارة وضرر.

- يقولون لي : فيك انقباضٌ [١] ، وإيما \*\* رأوا رجلاً عن موقفِ الدُّلِّ أحجما  
2- أرى الناسَ منَ داناهم [٢] هانَ عندهمُ \*\* ومَنَ أكرَمتهُ عزةُ النفسِ أكرما  
3- وكلمَ أقضِ حقَّ العلمِ إنَّ كانَ كُلمًا \*\* بدا طمعُ صيِّرتهُ [٣] لي سَلما  
4- إذا قيلَ : هذا مَورِدٌ ، فقلتُ : قد أرى \*\* ولكِنَّ نفسَ الحرِّ تحتمِلُ الظَّما  
5- وكلمَ أبْتدِلُ في خِدمةِ العلمِ مُهجَّتي \*\* لأخدمَ مَنْ لاقيتُ ، لكن لأخدما  
6- أشقى بهِ عَرساً ، وأجنيه ذِلَّةً ؟ ! \*\* إذأ ، فاتَّباعُ الجهلِ قد كانَ أحرما  
7- ولو أنَّ أهلَ العلمِ صائوهُ صانهمُ \*\* وكو عَظْموه في النفوسِ لعَظما  
8- ولكن أهانوه فهانَ ودَتَّسوا \*\* مُحيَّاهُ [٤] بالأطماعِ حتى تجَهَّما

معنى الأبيات

- 1- يتعجب الشاعر من اتهام الناس له بالعزلة والبعد عن الناس وعدم الانخراط فيما بينهم ، مع أن ابتعاده لم يكن إلا عما يورث نفسه الذل -2-
- اتخذت هذا الموقف لأنني رأيت أن كل من رضي بكل ما عليه الناس فدخل معهم ووافقهم على كثير مما هم عليه تهون نفسه عندهم ، ومن كان عنده عزة نفس تبعده عن مواطن الشبهة أكرمه الناس.
- 3-والذي يدفع كثير من العلماء إلى مجاراة الناس هو المطامع المادية ، وهي لا

تنتهي ولا أستطيع قضاء حق العلم إذا كنت كلما لاح مطمع من هذه المطامع جعلته سلباً لنفسي.

4- لذلك ، تجاهلت هذه المطامع المذلة التي تتنافى مع شرف العلم ، فإذا أشار لي مشير إلى أحد هذه الموارد قلت له : إنني أرى ما ترى ، ولكن يمنعني من الورود نفس حرة تصبر على العطش وتحمله.

5- إن كثيراً من هذه المطامع تؤدي إلى خدمة من لا يستحق الخدمة ، وإلى مداراة أصحاب الدنيا وتسخير العلم لمصالحهم ، مع أنني لم أتعلم إلا من أجل إكرام نفسي لا إهانتها بذلك.

6- هل أشقي نفسي في طلب العلم ، لأجني لنفسي الذل ؟ مادام الأمر كذلك فالبقاء على الجهل كان أفضل من العلم الذي يكون سبباً في هوان صاحبه.  
7- لو أن العلماء حفظوا علمهم ، وترفعوا به عما لا يليق لحفظهم ، ولكان ذلك سبباً في صيانتهم ومعرفة الناس حقهم ، ولو نظروا إلى العلم نظرة إعظام وإكبار لكان عظيماً وكبيراً في أعين الناس.

8- ولكن الواقع أن كثيراً من العلماء أهان العلم بتصرفاته ، فهان العلم في نظر الناس وحسبوا أن العلماء كلهم على هذه الشاكلة ، وأصبح العلم وبالاً على العلماء ومصدر شقاء لهم ، حتى ليكاد كثير منهم أن يتمنى لو لم يتعلم.

في جو الأبيات

هذه أبيات تقف شامخة -بعدها القليل- على امتداد الشعر العربي كله ، بل إنها لتكاد تكون كذلك في الأدب العالمي ، من حيث بساطة التعبير وصدقته ، ومن حيث جمال الأسلوب وترفعه . وقائلها هو القاضي أبو الحسن ، علي بن عبد العزيز الجرجاني ، قاضي الريّ المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ، وكان عالماً ، أقرّ له الناس بالتفرد ، وكان إلى ذلك شاعراً محسناً ، وناقداً دقيقاً ، وكتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) من أشهر كتب النقد في الأدب العربي ، وهو مطبوع.

وهي أبيات تظل جديدة ، لأنها لصيقة بموضوع حيّ ، وقضية مصيرية ، وهي علاقة العالم بغيره من الناس ، سواء ارتفعوا أو سفلوا.

وسبب آخر يجعلها جديدة دائماً ، وهو ما يراه الإنسان في كل عصر من تهاون بعض العلماء وتهالكهم على أقدام أصحاب الدنيا ، ودوسهم المعاني الشريفة التي يقتضيها العلم.

إن الشاعر -هنا- صاحب قضية ، ذو شخصية واضحة قوية ، رسم حدودها بهذه

## كل ما يخص قصيدة عزة النفس للقاضي الجرجاني الصف السادس الفصل الاول

الأبيات القليلة ، التي تقارب غرض (الفخر) ، ولكنها ما تلبث أن تنأى عما توطأ عليه أصحاب الفخر التقليدي من الشعراء ، من موضوعات يغلب عليها الادعاء والتناول.

وبروز شخصية القاضي في هذه الأبيات لم يؤثر على شاعريتها القوية ، فالججاج بالدليل والبرهان أضاف إلى جمالها قوة ، وأعطانا حقيقة مفادها : أنه ليس صحيحاً بإطلاق أن شعر العلماء يكون متكلفاً يفتقر إلى الشاعرية الأصيلة.

إن الشاعر يقدم في أبياته (مرافعة) جامعة عن نفسه ، ويدافع دفاعاً فذاً عن قدسية العلم التي وضع تحت وطأة المطامع والزلفى ممن لا يستحق.

هاهم بعض الناس يضيّقون ذرعاً بعدم خوضه في غمار الناس ، فيلصقون به تهمة الانقباض والانعزال ، وهي تهمة قاسية ، قد تلقى ظلماً على شخصية العالم في نظرهم فيسارع إلى تخطئة من اتهمه بذلك ، وتوجيه ما بدا من انقباضه التوجيه الصحيح ، فما حسبه هؤلاء انقباضاً ليس على إطلاقه ، وإنما هو بعد عن مواقف الذل ، ومواطن الهوان.

والذي دعا الشاعر إلى هذا الموقف هو رصيد التجارب المتراكمة ، التي علمته أن الناس يستهينون بمن يخوض معهم كل مخاض ، في جدهم وهزلهم ، ويوقرون من يقترب منهم بقدر ، ويخاطبهم بحساب.

ولعلنا نلاحظ أن هؤلاء المنتقدين يعيبون على الرجل نوعاً من الابتعاد بعينه ، فيرد عليهم قائلاً : إن للعلم حقوقاً ، ومن أظهر هذه الحقوق صيانتة عن المطامع ، والبعد عن التزلف والترفع به عما لا يليق بحملته ، وإذا ما تورطت مع من دلف إلى أبواب أهل الدنيا ، ابتغاء ما يتساقط من موائدهم من فتات ؛ أكون قد أهدرت حق العلم وختت الأمانة.

ويبدو أن الشاعر لم يئأ بنفسه عن هذه المواطن لأنه ليس بحاجة إليها ؛ بل هو محتاج إلى ذلك ، ولكنها نفس حرة ، ترى الموارد مُشترعةً ، ولكنها تلمح من وراء هذه الموارد هواناً وميَّةً ، وضعةً وصغاراً ، وإنفاقاً لشيء ثمين في سوق رخيصة ، فتتسلح بالصبر على الظمأ ، يدفعها إلى ذلك إرادة قوية ، وشخصية متماسكة ، وهذا معنى يُنظرُ فيه إلى بيتي عنتره السائرين:

لا تسقني ماءَ الحياة بذلةٍ \*\*\* بل فاسقني بالعز كأسَ الحنظل  
ماءَ الحياة بذلةٍ ، كجهنمٍ \*\*\* وجهنمٍ بالعز أطيّبُ منزل

هذا العمل منقول :. تجميع وتنسيق منتديات صقر الجنوب التعليمية

ثم يلفت الشاعر نظر الذين ينكرون عليه موقفه ، من دهماء الناس ، أو من أدعياء العلم ، الذين يفرهم بريق المناصب عن الحق ، ويفرقون أنفسهم في حمأة التَّرحُّص والتأويل فيقول : لم أتعب عقلي ، وأجهد نفسي في طلب العلم من أجل أن أذلها في خدمة من لا يستحق الخدمة طلباً لمال ، أو حرصاً على جاه أو منصب ؛ وإنما جهدت في طلب العلم ليخدمني هؤلاء الذين يراهم كثير من الناس في مقام من يستحق الخدمة بينما أرى أن مرتبة العلم لا تدانيها مرتبة أبدأ . وهذا إبراهيم بن أدهم يقول في ذلك : ( لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف ) ، يعني : العلم والتلذذ به .

ثم يجسد الشاعر القضية تجسيداً بدهياً واضحاً فيقول : أأجهد نفسي وأتعبها في تحصيل العلم -كمن يتعب في إنفاق الجهد الجهد على غراس ، حتى إذا حان إثمار هذه الغراس اجتنى منها ثمر الذل ؟ ! لاشك أن من يعمل لتكون نتيجة عمله هذه النتيجة إنسان أخرق ، وإن عيشاً في ظلال الجهل خير من علم يورث الذل ويكون وبالاً على صاحبه .

وإن ما نرى من هوان العلم والعلماء ، (وهذه القضية بدأت من قديم ، ثم زادها الزمن ترسخاً ووضوحاً إلى يومنا هذا) ونظر الآخرين إليهم نظرة ازدراء ، سببه نابع من نفوس هؤلاء العلماء الذين لم يصونوا العلم ، ولم يحفظوه عن أن يهان ويتمرغ على أعتاب أصحاب الدنيا ، فلو اعتقد هؤلاء العلماء شرف العلم ، وعظمته في نفوسهم ؛ لعظّموه في واقع حياتهم ، ولكنهم وضعوه في غير موضعه ، واستهدفوا به ما رخص من الأغراض ، وما قرب من الغايات ، وسخّروه من أجل الدنيا ، فهان في نظر الناس ، ممن لا يعرف للعلم حقيقة ؛ فأهانوا حَمَلَتَهُ ، وعدّوهم من سَقَطِ المتاع .

وبعد ، فهذه أبيات القاضي الجرجاني ، تقف معلّمة بارزة في أدبنا العربي ، بصدقها وجلالها وعظمة موضوعها ، وما أجدر طلبه العلم ، بُلّة العلماء ، أن يتخذوها دليلاً لهم في حياتهم ، وخلال علاقتهم بالناس ، لأنها نفحة من الأدب الخالد الذي استظل بظل مفاهيم الإسلام العظيمة .

-منصور الأحمد . مجلة البيان العدد : ( ٢ ) بتصرف يسير

-انقباض : انزواء ، وابتعاد عن الناس ، أحجم : توقف ولم يتورط..

-دانا هم : اقترب منهم وخالطهم دون تحفظ..

-صيرته : جعلته .

-محياه : وجهه ، تجَهَّم : أصبح مشوهاً عبوساً غير جميل..